

- ٦٣ -

الصحفي ، بشكل عام ٠٠ لنجد أن من المهم المميز منها «المصادر البشرية» ٠٠ وهنا نقول ٠٠ أننا لا نقصد بهذه المصادر عند الرجل ، أساتذته الذين كان يستمع اليهم ، أو هذه الطائفة من «المسجديين» الذين شغف بهم واعتبر في وقت من الأوقات واحدا منهم ، أو هؤلاء الذين كانوا يتحدثون في المجالس والدور والقصور بحضوره ، وحيث كانت ذاكرته الدقيقة الحافظة تعمل عملها وتسجل « جواهر » ما يدور ، وخالصة ما يجرى ٠٠ وهي نفس طريقة غيره مع اختلاف بينه وبينهم ، ومع تفوق له عليهم بفضل هذه المواهب كلها ، التي لم تتح الا للقليل النادر من أهل زمانه ، وأقول ، وأهل زماننا أيضا ٠٠

لا نقصد بهذه المصادر البشرية هؤلاء ، وإنما نقصدهم في صورتهم الصحفية عامة وفي ملامحها الإخبارية خاصة ٠٠

أو ٠٠ في أسلوب آخر ، نقصد هؤلاء ممن كانوا يملكون تقويم ما يريده الجاحظ منهم ٠٠ هؤلاء الذين كان يبحث عنهم ، كبحث المندوب الصحفي أو المراسل ، فإذا عرفهم ، وحدد مواقعهم قام بالانتقال اليها وسعى من ورائهم حتى يتم اللقاء ، أو يتم أكثر من لقاء واحد بينه وبينهم ، يحصل خلاله منهم على ما يريد من مادة ، من أفواه أصحابها أو إبطالها أو شهود العيان عليها ، أو المتصلين بها عن قرب ، اتصال عمل ، أو قرابة أو نسب أو معرفة ٠٠٠ وغيرها ، فإذا وجد ضالته عندهم ، لم يكتف بها بل سعى وراء المزيد والجديد والدقيق والمحقق منها ، عند غيرهم في أماكن ومواقع أخرى ، وربما عند فئة ثانية وثالثة وهكذا ٠٠

وفي سبيل ذلك ، انتقل الرجل الى المدن الكبيرة والصغيرة والقرى ، وقطع البادية وخاض بقدميه في بحر الرمال ، وأقام بين القبائل ، واقتحم بعض الأحياء الخلفية واجتمع بهؤلاء يأخذ عنهم ، ويرصد ويجمع ويسجل ، وكان له من وراء ذلك كله زادا كبيرا ، ومحصولا وافرا ، توزع على فصول ومباحث هذا التراث الجاحظي .

لكن هذا الانتقال من جانبه الى مواقع من يريد الأخذ والاستماع والنقل عنهم ، لم يكن سوى هذا الوجه الأول لذلك النشاط ، أما الوجه الآخر له ، أو الصورة الأخرى ، فكانت تتمثل في حضور هؤلاء اليه ، واجتماعهم أو لقاءهم به ، ووصولهم حتى مكان وجوده ، وعرض بضاعتهم عليه ٠٠٠ ووضعها بين يديه ، أو بين يدي فكره وتناوله ورؤيته الخاصة ٠٠